آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي
من علماء الحوزة العلمية في النجف الاشرف ـ العراق

دراسات

الموقف من الفتنة الطائفية

(٢/٢)

«في الجزء الأول من مقال (الموقف من الفتنة الطائفية) تطرق الكاتب إلى واقعية الفتنة الطائفية في بعض البلدان الإسلامية، وآثارها الهدامة والضريبة الكبيرة التي يدفعها العالم الإسلامي جرّاءها، وصعوبة تقدم المشروع السياسي الإسلامي مع وجودها. وأشار أيضا إلى أسباب الفتنة، ودور الاستكبار العالمي في إثارتها لمواجهة النهضة الإسلامية المعاصرة، والانغلاق على الرأي الآخر، وما سببه في أضرار كبيرة في تعميق الفجوة الطائفية بين المذاهب الإسلامية، وتمكين الاستكبار من العالم الإسلامي، وتشويه صورة الإسلام.

وفي مقام علاج الفتنة أشار إلى ثلاث نقاط رئيسية وهي: وعي الأمة الواحدة، وصراعها الحضاري، وضرورة الرافد الثقافي والعلمي في حياة هذه الأمة، وطرق إخماد الفتنة الذي يتوقف على أربعة أمور وهي؛ الوعي، والخطاب، واللقاء والحوار، والعمل المشترك. وقد توصل في المقال إلى الصدق والنصح في الخطاب».

الصدق والنصح في الخطاب

ويجب أن يكون الخطاب صادقاً ناصحاً.. وفي خطابنا المذهبي الطائفي المعاصر الكثير من الكذب والافتراء.. ومن يقرأ بعض أدبيات الفتنة الطائفية المعاصرة يجد نماذج كثيرة من هذا الافتراء والكذب، ومن أمثلة هذا الافتراء: الافتراء على الشيعة الإمامية بأنهم يقولون بتحريف القرآن، وهم ينفون عن أنفسهم هذه التهمة، ويصرحون ويكتبون عن صيانة القرآن عن التحريف.

ولو أنك سبرت بلاد المسلمين في كل العالم لا تجد غير هذا القرآن قرآناً يتلوه الناس ويتعبدون به في مشارق الأرض ومغاربها.

وكم يتبادل المسلمون من المذاهب المختلفة الافتراءات فيما بينهم من غير هدى ولا بيّنة.

ولا تختصّ هذه الافتراءات بين الشيعة والسنة، وإنما يتم بين الشيعة أنفسهم، والسنة أنفسهم بما لا يقلّ عما يجري بين الشيعة والسنة...

وهذا الخطاب الطائفي ينقصه الصدق والنصح..

ينقصه الصدق لأن علماء المسلمين من جميع المذاهب يكتبون ويعلنون ويصرحون أن ليس لله على وجه الأرض كله قرآن غير هذا القرآن، الذي يتلوه المسلمون صباحاً ومساءً.

وينقصه النصح لأن المسلم الذي يهمه أمر وحدة المسلمين وانسجامهم، والذي يأمر الله تعالى به ورسوله لا ينال مذاهب المسلمين بهذا اللون القاسي من الجرح والتشهير والتسقيط، من دون تثبت علمي، بل مع إعلانهم البراءة عما ينسب إليهم من الافتراء. إن الخطاب الذي يحتاجه الجمهور هو الخطاب الناصح، وليس الخطاب الكاذب الغاش.

الشجاعة والصراحة في الخطاب

إن مواجهة ظروف الفتنة الطائفية اليوم تستدعي شجاعة وصراحة في الخطاب وما لم يمتلك حملة الخطاب الإسلامي هذه الشجاعة والصراحة لا يتمكنون من مواجهة

الفتنة الطائفية المعاصرة واستئصالها.

إن الحالة التكفيرية المعاصرة واستباحة دماء المسلمين بغير الحق عودة للحالة الخارجية التي ظهرت صدر الإسلام في حرب صفين والنهروان في أيام خلافة أمير المؤمنين(ع) ،وولادة جديدة لنفس الحالة.

وهذه الحالة آخذة بالتوسع والنفوذ إلى داخل الحركة الإسلامية المعاصرة.. ولابد أن يمتلك تجاه هذه الحالة علماء المسلمين الجرأة والشجاعة والصراحة الكافية في بيان موقف الإسلام من هذه الجماعة ومن هذه الحالة التي تُعدّ انزلاقاً خطيراً للحركة الإسلامية المعاصرة.

والتردد والتريث في مثل هذا البيان يؤدّي إلى استشراء هذه الحالة وتوسعها، والى حدوث انزلاقات خطيرة في الحركة الإسلامية المعاصرة بهذا الاتجاه.

وقد حرّم الإسلام دم المسلم وماله إذا كان يشهد بالتوحيد لله والنبوة لرسول الله قولاً واحداً بين فقهاء المسلمين.

روى مسلم في الصحيح في فضائل علي(ع) عندما دعا رسول الله(ص) علياً في فتح خيبر فأعطاه الراية وقال له: (امش ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك)، قال: فسار علي شيئاً ثم وقف ولم يلتفت فصرخ: يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس؟

قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم)[١].

وفي الصحيحين بالإسناد إلى مقداد بن عمرو: أنه قال: يا رسول الله أرأيت إن لقيت رجلاً من الكفار، فاقتتلنا فضرب إحدى يدي بالسيف، فقطعها، ثم لاذ مني بشجرة، فقال: أسلمت لله، فأقتله يا رسول الله بعد أن قالها، فقال رسول الله(ص): لا تقتله، فإن قتلته فانه بمنزلتك قبل أن تقتله، وانك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال[٢].

واخرج البخاري في بعث علي(ع) وخالد إلى اليمن: أن رجلاً قام فقال يا رسول الله: اتق الله، فقال(ص): (ويلك ألست أحق أهل الأرض أن يتقى الله)، فقال خالد يا رسول الله ألا أضرب عنقه، فقال(ص): لا لعله أن يكون يصلي)[٣] .

وعن أمير المؤمنين(ع) أنه قال: «قال رسول الله (ص): أمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها فقد حرم عليّ دماءهم وأموالهم»[٤] .

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله(ص):

«أُمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله»[٥].

وعن أبي عبدالله الصادق(ع) أنه قال: «الإسلام يُحقن به الدم»[٦] .

وعنه(ع) أنه قال: «شهادة أن لا إله إلا الله والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله به حُقنت الدماء وعليه جرت المناكح والمواريث»[٧] .

وعن رسول الله(ص) أنه قال: «من وحّد الله وكف بما يعبد من دونه حَرُم ماله ودمه وحسابه على الله»[٨].

وعن أبي عبدالله الصادق(ع) أيضاً عن رسول الله(ص) أنه قال: «أيها الناس إنّي أمرت أن أقاتلكم حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله وأني محمد رسول الله، فإذا فعلتم ذلك حقنتم بها أموالكم ودماءكم إلا بحقّها وكان حسابكم على الله»[٩] .

وروى الدارمي عن رسول الله(ص) أنه قال: «إنّي أمرت أن أُقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها حرمت عليّ دماؤهم وأموالهم إلا بحقّها، وحسابهم على الله»[١٠] .

عن أبي سعيد الخدري قال: وجد قتيل على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فخرج مغضباً حتى رقى المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «يقتل رجل من المسلمين لا يُدرى من قتله، والذي نفسي بيده لو أن أهل السماوات والأرض اجتمعوا على قتل مؤمن أو رضوا به لأدخلهم الله في النار»[١١] .

وروى مسلم بن الحجاج في (الصحيح) روايتين عن رسول الله(ص) نعرف منهما عظيم حرمة «لا إله إلا الله» وحرمة القائل بها، ولو كان القائل بها قد تظاهر بها ليحمي نفسه من القتل، وأنّ هذه الكلمة تعطي قائلها وحاملها من الحرمة ما لا يجوز لأحد انتهاكها إلا بحقه.

روى مسلم أن رسول الله(ص) بعث بعثاً من المسلمين إلى قوم من المشركين، وأنهم التقوا فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله، وإن رجلاً من المسلمين قصد غفلته، قال: وكنا نحدّث أنه أسامة بن زيد، فلما رفع عليه السيف قال: لا إله إلا الله فقتله، فجاء البشير إلى النبي(ص)، فسأله فأخبره، حتى أخبره خبر الرجل كيف صنع، فدعاه فسأله قال لِمَ قتلته؟ قال: يا رسول الله أوجع في المسلمين وقتل فلاناً وفلاناً وسمّى له نفراً، وإنّي حملت عليه فلما رأى السيف قال: لا إله إلا الله، قال رسول الله(ص): أقتلته؟ قال: نعم، قال: فكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة، قال: يا رسول الله استغفر لي، قال: وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة، قال: فجعل لا يزيد على أن يقول: كيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة[١٢] .

وروى مسلم أيضا عن أسامة بن زيد أنه قال:

«بعثنا رسول الله(ص) في سرية فصبحنا الحرقات[١٣] من جهينة فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله، فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك فذكرته للنبي(ص) فقال رسول الله(ص): أقال لا إله إلا الله وقتلته! قال: قلت: يا رسول الله إنما قالها خوفاً من السلاح، قال: أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا، فمازال يكررها عليَّ حتى تمنّيت أني أسلمت يومئذ»[١٤].

ورغم أن القتيل كان مقاتلاً يقاتل المسلمين في صفوف الكافرين حتى اللحظة الأخيرة، ونطق بكلمة التوحيد في اللحظة الأخيرة عندما وجد السيف على رأسه، وواضح من كل القرائن أن الرجل شهد بـ لا إله إلا الله خوفاً من القتل وليس عن إيمان، كما قال أسامة بن زيد.. إلا أن رسول الله(ص) غضب غضباً ظاهراً، وأنكر على أسامة بشدة وقوة، وكرّر إنكاره على أسامة حتى تمنى أسامة أن يكون قد أسلم في ذلك اليوم حتى يكون الإسلام قد جب من ذنوبه ما سبق.

خطبة رسول الله(ص) بمنى

وهذه الخطبة ألقاها رسول الله(ص) في جموع المسلمين الغفيرة بيوم النحر بمنى، وقد

روى هذه الخطبة ثقاة المحدثين بألفاظ متقاربة ونحن ننقل الخطبة برواية الإمام أبي عبدالله الصادق(ع) ونشير إلى جملة من المصادر التي تروي هذه الخطبة:

عن زيد الشحّام عن أبي عبدالله الصادق(ع) أنه قال:

«إن رسول الله صلى الله عليه وآله وقف بمنى حين قضى مناسكها في حجة الوداع فقال: أيها الناس اسمعوا ما أقوال لكم واعقلوه عني فإني لا أدرى لعليّ لا ألقاكم في هذا الموقف بعد عامنا هذا، ثم قال: أيُّ يوم أعظم حرمة؟ قالوا: هذا اليوم، قال: فأيّ شهر أعظم حرمة؟ قالوا هذا الشهر، قال: فأيّ بلد أعظم حرمة؟ قالوا هذا البلد، قال: فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه فيسألكم عن أعمالكم، ألا هل بلّغت؟ قالوا: نعم، قال: اللّهم اشهد، ألا من كانت عنده أمانة فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها، فانه لا يحل دم امرئ مسلم ولا ماله إلا بطيبة نفسه، ولا تظلموا أنفسكم، ولا ترجعوا بعدي كفّاراً»[١٥] .

ثانياً: اللقاء والحوار

هذه ثلاثة عناوين يحبها الله تعالى، وهي أساس التقريب والتفاهم وجمع الشمل وهي:

(الجماعة)و (الاجتماع واللقاء) و (الحوار والتفاهم).

وهذه الثلاثة هي الأداة المفضلة في دين الله لمكافحة الفتن الطائفية، وإزالة التقاطعات، والوصول إلى الانسجام والتفاهم والتعاون.

وسوف نشرح هذه الثلاثة، ونقف وقفات قصيرة عند كل واحد منها:

الجماعة

ونبدأ بالجماعة، وهي غير التجمع واللقاء.. الجماعة هي المجموعة التي تحمل مسؤولية ومهمة واحدة، ويكون بينها تنسيق وتفاهم حول أداء هذه المهمة والمسؤولية.

وتختلف جماعة عن أخرى، باختلاف نوع هذه المسؤولية والمهمة، والجماعة المسلمة هي التي تحمل مسؤولية أداء رسالة الله تعال والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر...

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[١٦].

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١٧].

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[١٨].

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[١٩].

هؤلاء جماعة هذه الأمة، يحملون هماً واحداً ومسؤولية واحدة هي الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم أُسرة واحدة، متعاونة ومتفاهمة ومتعاطية ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، وهم يؤمنون جميعاً بالله ورسوله، فأن الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يكون إلا إلى جانب الإيمان بالله ورسوله.

إذن هذه الجماعة تحمل ثلاث خصال:

١ ـ الإيمان بالله ورسوله.

٢ ـ الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الصلاة..

٣ ـ التفاهم والتعاون والتعاضد والتواصي بالحق والصبر فيما بينهم.

وعليه فأن مفهوم (الجماعة)بهذا التوضيح يلتقي مفهوم (الأمة).

وهما وان اختلفا بعض الاختلاف في الهموم، فهما ينطبقان على مصداق واحد.

وهذه الأمة أمة واحدة، وليست أمما شتى، لا ريب في ذلك.

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

وهذه الأمة الواحدة تجمعها كلمة لا إله إلا الله ومحمد رسول الله ومتطلبات هاتين الكلمتين.

وهذه الأمة بعرضها العريض جماعة واحدة، لها دعوة واحدة، وسبيل واحد، ومنهاج

واحد، ورسالة واحدة، يؤدونها مجتمعين.

وهذه الوحدة والاجتماع في الأداء وتحمّل المسؤولية والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي التي تجعل من هذه الأمة جماعة واحدة.

وقد ورد التأكيد على هذا الاجتماع والوحدة في الأداء والوحدة في الموقف والعمل في آيات عديدة من القرآن.

منها قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا﴾ فان الآية الكريمة تحمل معنيين:

الاعتصام بحبل الله، وهذا هو المعنى الأول، وان يكون هذا الاعتصام من قبل الجميع (جميعاً) وهذا هو المعنى الثاني.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ ادْخُلُواْ فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾[٢٠].

والآية الكريمة كذلك تحمل معنيين:

الدخول في السلم، وان يكون هذا الدخول من قبل الجميع (كافة).

وقد ورد التأكيد في أحاديث كثيرة متضافرة على لزوم الجماعة منها ما رواه الفريقان عن رسول الله(ص) في الخطبة التي خطبها في مسجد (الحيف) بمنى عام حجة الوداع، واليك هذا الخطاب النبوي الشريف:

(نضر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها، وبلغها من لم تبلغه، فرب حامل فقه ليس بفقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة لائمة المسلمين، واللزوم لجماعتهم، فإن دعوتهم محيطة من ورائهم، المؤمنون أخوة تتكافأ دماؤهم، وهم يد على من سواه، يسعى بذمتهم أدناهم)[٢١].

وهذا خطاب شريف يتضمن ثلاث دعوات، وأية دعوات؟

١ ـ الإخلاص في العلاقة بالله.

٢ ـ والنصيحة في العلاقة بأئمة المسلمين وأولياء الأمر(ع).

٣ ـ واللزوم لجماعة المسلمين في العلاقة بالأُمة.

وسلامة الإنسان بسلامة هذه العلاقات الثلاثة:

١ ـ العلاقة بالله.

٢ ـ والعلاقة بأئمة المسلمين.

٣ ـ والعلاقة بجماعة المسلمين.

فإذا سلمت علاقة الفرد بهذه المحاور الثلاثة يسلم الفرد وتسلم الأمة.

وورد في النصوص الإسلامية النهي عن الاختلاف والتفريق والتقاطع داخل الجماعة المسلمة، والنهي عن الخروج عن جماعة هذه الأمة والشذوذ عنها.

عن رسول الله(ص): (عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة)[٢٢] .

وعنه (ص): (اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين وأربعة خير من ثلاثة. فعليكم بالجماعة، فان يد الله مع الجماعة، ولم يجمع الله أمتي إلا على هدى، واعلموا أن كل شيطان «البعيد من الحق» هوى في النار)[٢٣] .

وعنه أيضا(ص): (لا يجمع الله أمر أمتي على ضلالة أبدا، اتبعوا السواد الأعظم، من شذّ في النار)[٢٤] .

وعن أمير المؤمنين(ع): (الزموا السواد الأعظم، فان يد الله مع الجماعة، وإياكم والفرقة، فان الشاذ من الناس للشيطان، كما أن الشاذ من الغنم للذئب، فلا تكونوا أنصاف الفتن، وأعلام البدع، والزموا ما عقد عليه حبل الجماعة، وبنيت عليه أركان الطاعة)[٢٥] .

وعن الإمام الصادق(ع) انه قال: إن قوماً جلسوا عن حضور الجماعة فهمّ رسول الله صلى الله عليه وآله أن يشعل النار في دورهم حتى خرجوا وحضروا الجماعة مع المسلمين)[٢٦] .

وقد جعل الله تعالى في لقاء المؤمنين رحمة وبركة وخيراً، وجعل اللقاء والحوار من منازل رحمته وبركاته...

كما أن الشيطان يجعل من التباعد سبباً للنفور والقطيعة والخلاف.

واللقاء لا يتمّ من غير حوار عادة، فهما متلازمان من ناحية اللقاء. وقد رأينا بركات كثيرة في اللقاءات الأخيرة المعاصرة التي تمت في إيران بعد قيام نظام الجمهورية

الإسلامية... بين المذاهب الإسلامية فقد كانت هذه اللقاءات مصدر خير كثير في حياة هذه الأمة، تعارف خلالها بعضهم على بعض، وتحابوا، ووجدوا فرصاً واسعة للتفاهم والتعاون، لم يكونوا يعرفوها من قبل... في هذه اللقاءات إرتفع كثير من اللبس والغموض الذي كان ينظر من خلاله بعضهم إلى بعض من قبل، واكتشفوا مساحات مشتركة واسعة جداً في الفكر والثقافة والمعرفة، كانوا يعدونها من قبل مما ينفرد بها بعضهم عن بعض.

(الجماعة) و(الجمعة)

إن اجتماع المؤمنين واللقاء بينهم أمر يحبّه الله تعالى، وما يحبّه الله يجعل فيه البركة والخير، ويجعله من منازل رحمته.

وهذا اللقاء، وما يستتبعه من الحوار يدخل في صلب التشريع.. فقد شرَّع الله في هذا الدين للمسلمين (الجماعة) و(الجمعة) و(الحج)..

ويدخل في (الجمعة) صلاة العيدين الفطر والأضحى .

وهذه الثلاثة (الجماعة، والجمعة، والحج) تجمعات إسلامية ثلاثة تجمع المسلمين من مختلف المذاهب والاتجاهات والاجتهادات.. ولاشك أن الحالة العبادية والذكر جزء لا يتجزأ من هذه الحالة العبادية.

والذكر جزء لا يتجزأ من هذه الثلاثة... إلا أن حالة اللقاء والاجتماع أمر مقصود في هذه التشريعات الثلاثة من دون شك.

ورغم أن الإنسان يُقبل على صلاته في الخلوات أكثر من الإقبال عليها في الاجتماعات... مع ذلك كله يفضّل الإسلام إقامة الفرائض اليومية جماعة على الانفراد، وذلك نظراً لأهمية التقاء المؤمنين وتواجدهم في ساحة واحدة.

وقد بلغ من اهتمام الإسلام بالجماعة أن رسول الله(ص) هدد أقواماً كانوا مقاطعين لصلاة الجماعة في المدينة بان يحرق بيوتهم، كما في الرواية.

روى الشيخ الطوسي في التهذيب عن الصادق(ع): أن أناساً كانوا على عهد رسول

الله صلى الله عليه وآله ابطئوا عن الصلاة في المسجد، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله ليوشك قوم يدعون للصلاة (يَدَعون الصلاة ظ) في المسجد أن نأمر بحطب فيوضع على أبوابهم فتوقد عليهم النار فنحرق عليهم بيوتهم)[٢٧] .

وكذلك الاهتمام بأمر (الجمعة) في الإسلام وتحشيد المؤمنين من كل منطقة في جامع عام لإقامة الجمعة، وقد روي عن الإمام الباقر(ع):

صلاة الجمعة فريضة، والاجتماع إليها فريضة مع الإمام، فان ترك رجل من غير علة ثلاث جمع فقد ترك ثلاث فرائض، ولا يدع ثلاث فرائض من غير علة إلا منافق[٢٨] .

واجتماع الحج هو الاجتماع الأوسع للأمة كلها، تجتمع في موعد واحد في مكان واحد لإقامة هذه الفريضة، وهو أوسع اجتماع يعرفه الناس على وجه الأرض.. يقيمه المسلمون في كل عام تلبية لأذان إبراهيم ﴿أَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾[٢٩].

الجماعة والجمعة تجمعان كل الشرائح والمذاهب

وقد حرص الإسلام أن يحضر المسلون بكل مذاهبهم واتجاهاتهم هذه الاجتماعات لأداء الفريضة اليومية وصلاة الجمعة وفريضة الحج مجتمعين.

وكان أئمة أهل البيت(ع) يؤكدون على شيعتهم حضور الجماعات والجمعات لأهل السنة.

عن الإمام الصادق(ع): (من صلّى خلفهم كان كمن صلّى خلف رسول الله صلى الله عليه وآله) .

وفي حديث آخر عنه(ع): (إذا صليت معهم غُفِرَ بعدد من خالفك في قراء البسملة وحضر الصلاة في المسجد).

وذلك أن الأحناف من أهل السنة يلغون البسملة في القراءة، على خلاف مذهب أهل البيت(ع) في اعتبار البسملة جزءً من كل سورة، إلا سورة التوبة.

ويشكو أحد الرواة إلى الإمام الصادق(ع) حاله في حضور صلوات جماعة أهل السنة يقول: إن لنا إماما مخالفاً وهو يبغض أصحابنا كلهم، فقال(ع): (ما عليك من قوله، والله لئن كنت صادقاً لانت أحق بالمسجد منه فكن أنت أول داخل وآخر خارج، وأحسن خلقك مع الناس، وقل خيراً) .

ويقول الإمام الصادق لإسحاق بن عمار: (يا إسحاق أتصلي معهم في المسجد؟ قال: قلت نعم، قال صلّ معهم فان المصلي معهم في الصف الأول كالشاهر سيفه في سبيل الله) .

* * *

إن من الضروري تعبئة الجماعات والجمعات بحضور الشرائح الإسلامية المختلفة من كل المذاهب والطوائف الإسلامية، وكسر الحواجز الطائفية والمذهبية فيهما.

ومن الضروري أن يكون خطاب أئمة الجمعات والجماعات خطاباً تقريبياً وحدوياً توحيدياً يكسب كل الفرق والطوائف الإسلامية، ولا يفرّقهم ولا ينفرهم.

ومن الضروري تعبئة الحج بالحوار الهادف الموجه بين المسلمين في شؤونهم السياسية والثقافية والاقتصادية .

مساحات اللقاء والحوار

أهم مساحات اللقاء والحوار هي المساحة الثقافية والمعرفية والمساحة السياسية والمساحة الاقتصادية.

المساحة الثقافية والمعرفيّة

اللقاء، والحور في شؤون الثقافة والمعرفة يؤدي إلى تقريب وجهات النظر من المذاهب الإسلامية في شؤون المعرفة والعلم، كالفقه وأصول الفقه والكلام والتفسير.

كما يؤدي اللقاء والحوار في هذه المساحة إلى اكتشاف مساحات مشتركة بين المذاهب الإسلامية في مختلف أبواب المعرفة ويتبين لهم أن الخلاف في ما بين المذاهب الإسلامية في هذه المسائل لم يكن إلا خلافاً لفظياً وهم متفقون على جوهر هذه المسائل.

كما يؤدي الحوار العملي والثقافي الموجّه بين المذاهب الإسلامية إلى التكامل والتلاقح العملي لدى الجميع .

وقد كانت هذه الطريقة مألوفة لدى العلماء وطلبة العلوم من المذاهب الإسلامية المختلفة في التردد على المداس والحوزات العلمية المختلفة لتلقي العلم، رغم اختلاف المذاهب.. وكان لهذا الترافد العلمي والثقافي أثر كبير في إثراء المعرفة والثقافة الإسلامية وتكامل العلوم والمعارف لدى المسلمين.

المساحة السياسية

المساحة السياسية مساحة واسعة... وهذه المساحة اليوم أصبحت مساحة لهواة السياسة والانتهازيين واللاعبين الدوليين في السياسة، وان للسياسة لاعبين، يلعبون في هذه الساحة كما يلعب اللاعبون من هواة الشعبذة والمسرح.. ويقيسون العمل السياسي ويفهمونه ويقيمونه بنفس المقاييس التي يفهم فيها الناس العاب التمثيل السينمائي والشعبذة.. يكذبون ويُكَذّبون حتى يصدقهم الناس، ويستخدمون بيوت أموال المسلمين بسخاء لكسب آراء الناس ويبطلون الحقائق، ويحققون الزيف والكذب والباطل، بأدوات الكذب والتضليل والتغرير.

وللأسف أن الساحة السياسية في العالم اليوم لهذه العصابات، إلا ما ندر وشذّ، ولا نطيل في هذا الحديث، وسوف يطول موقفنا بين يدي الله تعالى يوم السؤال الأكبر والمحاسبة الكبرى (وقفوهم إنّهم مسؤولون) تجاه هذه القضية.

فقد عرف الناس الظالمين، وسكتوا منهم، وجاروهم وتعاونهم معهم، ولم يحركوا ساكناً، ولم يزعجوهم بموقف أو كلمة، وتركوهم يمرحون ويلعبون بمصالح هذه الأمة وقضاياها الكبرى، وينهبون ثرواتها، ويمكّنون أنظمة الاستكبار العالمي من بلاد المسلمين، إلا القليل النادر، الذين نهضوا بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجابهوهم بكلمة الحق، وكسروا كبريائهم وأذلوا غرورهم.. وهؤلاء قلة في هذه الأمة، ولكنّها قلة مباركة .

والسبيل الوحيد إلى طرد هذه العصابات السياسية الانتهازيّة من الساحة الإسلامية السياسية هو حضور جمهور المسلمين في هذه الساحة، حضور إيمان وعي وعطاء.

إنّ حضور الجمهور في الساحة يغيّب هذه العصابات، ويسلب منهم الأضواء التي يتألقون بها، وتكشفهم وتعرّيهم.

وهذا الحضور عبادة، بحكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّه يطرد حملة المنكر من الساحة، ويفتح المجال للمعروف والعاملين به، وذلك عندما يحضر أهل الساحة الشرعيون في الساحة، ويتصدون لها، ويتحركون فيها.

هذا الحضور عبادة، كما أن الصلاة والصيام عبادة وهو من مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

شريطة أن يكون هذا الحضور عن وعي وبصيرة، وليس حضوراً غوغائياً انفعالياً، وبشرط أن يحمل هذا الحضور خصلة المقاومة والعطاء، وليس حضوراً واهياً ضعيفاً تفرّقه طلقات من الرصاص والغازات المسيلة للدموع.

وبشرط أن يكون هذا الحضور حضوراً وحدوياً، تذوب فيه الفروق المذهبية، وتتجسّد فيه وحدة الصف.

ويتم الحوار فيه على أساس مصلحة الإسلام الكبرى، ويتعامل الجمهور في هذه الساحة من منطلق (الأمة الواحدة)، ويتفقون فيها على موقف واحد ورأى واحد.

إنّ مثل هذا الحضور واللقاء والحوار عندما يعمّ الساحة الإسلامية وينتشر في العواصم والحواضر والمراكز الإسلامية، يكون له دور كبير في توجيه قضايانا السياسية... ولست أريد أن أَشُطَّ في الخيال وأقول: أن حضور الناس في المساحة سوف يؤدي إلى تغيير شامل لأوضاعنا السياسية الفاسدة في العالم الإسلامي، ولكنني أقول أنّ هذا الحضور الواحد الشامل سوف يُعدّل كثيراً من قرارات الأنظمة السياسية الكبرى، مثل قرار (التطبيع)، وتبادل السلام والأرض في فلسطين، والموقف من الإحتلال الأمريكي للعراق وأفغانستان والموقف من المسألة النووية الإيرانية، والموقف السلبي من (حماس) في خلافه مع (فتح) والموقف من التأييد الأمريكي لإسرائيل

والرفض الأمريكي للمقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين (حزب الله وحماس والجهاد) والتفكيك بين (المقاومة) و(الإرهاب) واحترام الأول وتبنّيه ونبذ الثاني ورفضه... شريطة أن لا تلين الساحة الإسلامية لنفوذ الأنظمة واختراقاتها، فان الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي، تملك من وسائل اختراق الساحة ما يهدّد وحدة الساحة ووعيها، ويمكّن من تفريقها وتضليلها، وقد شاهدنا في حياتنا السياسية المعاصرة نماذج كثيرة من هذا الاختراق والتضليل والتجهيل والتفريق.

شروط اللقاء والحوار

ولكي يكون اللقاء والحوار نافعين يجب أن يتوفر فيهما الشروط التالية:

١ ـ تقديم مصلحة الإسلام العليا..

فقد تتدافع الأطراف الإسلامية فيما بينها، ولا يصلون إلى قناعة مشتركة، عند ذلك يجب عليهم أن يقدّموا المصلحة الإسلامية العليا على كل مصلحة.. وقد كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) قدوة لكل المسلمين في ذلك.. يقول عليه السلام فيما جرى عليه من بعد رسول الله(ص) في تقديم الآخرين عليه في أمر الولاية والخلافة وتنحيته عن حقه في هذا الأمر:

(فوالله ما كان يلقى في روعي، ولا يخطر ببالي أن العرب تُزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنهم مُنحّوه عني من بعده، فما راعني إلا انثيال الناس على فلان يبايعونه، فأمسكت يدي (عن البيعة)، حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام، يّدْعُون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله، فخشيت إنْ لم انصر الإسلام وأهله إن أرى فيه ثلماً أو هدماً، تكون المصيبة بها عليّ أعظم من فوت ولايتكم)[٣٠].

٢ ـ حسن الظن في التعامل والحوار

فان سوء الظن إذا استولى على الناس في علاقة بعضهم ببعض أفسد هذا اللقاء، وكانت نتائج اللقاء سلبية.. وان سوء الظن آفة كل لقاء وحوار وعمل مشترك... وقد

نهانا الله تعالى عن سوء الظن في دائرة العلاقات التي تربط المسلمين بعضهم ببعض، بقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[٣١].

إن تعاطي سوء الظن في العلاقة يفسد العلاقة ويلغيها.

٣ ـ العقلائية في اللقاء والحوار:

عندما نكون في منعطف تاريخي حساس، كالمنعطف الذي نحن نعيشه اليوم.

والأمة الإسلامية ناهضة، وتخوض صراعاً مريراً في مواجهة الأنظمة المرتبطة بعجلة الاستكبار العالمي وأنظمة الاستكبار العالمي التي تقف خلف هذه الأنظمة.

وتُحشّد أنظمة الاستكبار العالمي كل إمكاناتها لمواجهة هذا التيار الإسلامي العظيم الذي يعم كل العالم الإسلامي.

وكان الموقف بيننا وبين الاستكبار العالمي موقفاً تاريخياً مصيرياً فاصلاً...

أقول في ظروف صعبة وعسيرة مثل هذه الظروف من أفدح الخطأ أن تغلب العاطفة والانفعال والشعار على مواقفنا السياسية ولقاءاتنا وخطابنا لجماهيرنا وحواراتنا المتبادلة داخل البيت الإسلامي الكبير.

إن لغة العاطفة والانفعال والشعار، كما هو نافع في إثارة الهمم وإنهاض الجمهور يُمكنُ أن يتحول في بعض الحالات إلى ألغام سريعة الانفجار تُحَوّل الساحة إلى ساحات للسجال والجدال العقيم الضار.

ونتمنى، لو أن طرفاً أو جهة أو شخصاً أراد أن يستخدم هذه اللغة في إثارة التشنج في صفوف المسلمين، ويعكر صفو العلاقات الإسلامية داخل الصف الإسلامي... نتمنى أن يواجهه الآخرون بالعقلانية الإسلامية والدعوة إلى ما يأمرنا الله تعالى به من الاعتصام بحبل الله ﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ﴾ والنهي عن التفرقة ﴿وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾.

٤ ـ الوعي السياسي:

إن الحالة السياسية والإعلامية في العالم، والعلاقات السياسية والاقتصادية بين أنظمة الاستكبار العالمي، والأنظمة التابعة لها في العالم الإسلامي، والعلاقة بين السياسة والإعلام... حالات معقدة شديدة التعقيد، ويدخل في تكوينها عوامل غير مرئية كثيرة،

وما يظهر على السطح من التصريحات والعلاقات لا يعبّر عن كل شيء...

اذكر في المصالحة التي تمت بين نظام عربي وإسرائيل بالوساطة الأمريكية وتصافح زعيما الطرفين أمام أضواء الكاميرات في حضور الرئيس الأمريكي فاجأ الرئيس الأمريكي المسؤول العربي بالسؤال التالي:

منذ كم كانت لكم علاقة وارتباط ولقاءات مع المسؤولين في إسرائيل؟

فقال المسؤول العربي الكبير مأخوذاً بهذه المفاجأة ممتعضاً من هذا الإحراج: منذ عشرين عاماً.

إن هذا السؤال والجواب يكشف لنا عن الاحتقار الأمريكي لجملة من زعماء الأنظمة العربية الذين تحميهم أمريكا نفسها، ويحمون مصالحها، كما تكشف عن عمق الفساد السياسي في طائفة من الأنظمة العربية.

منذ عشرين عاماً يتعامل مع إسرائيل، ويتعاطى معها، ويلتقي بقادتها.. ولا يعرف الناس على سطح الإعلام السياسي عنه إلاّ لغة الشجب والتهديد لإسرائيل..!!

إن هذه الأنظمة السياسية، بين الواقع والتصريحات التي يقدمونها للإعلام، تشبه الكتل الثلجية العائمة على مياه البحار تسع اعشار منها غاطسة في الماء لا تُرى وعُشْرٌ منها فقط تظهر على سطح الماء...

إنّ هذه الأنظمة بين واقعها الغاطس في مستنقع العلاقة بأنظمة الاستكبار العالمي، والشطر الظاهر المسموع والمرئي منها في الإعلام تشبه هذه الكتل الثلجية.. ومن افدح الخطأ أن نتعامل مع هذه الأنظمة من خلال الإعلام المرئي والمسموع، ومن خلال الخطب والتصريحات السياسية التي يطلقوها بين حين وآخر.

إن لقاءاتنا السياسية وخطابنا السياسي يجب أن يمتلك خلفية غنية من الوعي السياسي والإحاطة بالظروف السياسية المعقدة، والمعرفة بالخلفيات السياسية التي تقع خلف المواقف والقرارات والتصريحات السياسية.

ومن دون هذا الوعي السياسي سوف يقع جمهورنا وساحتنا في تخبّط سياسي واسع... ونحن قد تحدثنا عن ضرورة الوعي السياسي وأهميته الكبيرة في هذه المرحلة.

٥ ـ الحوار بالتي هي أحسن:

قد ينقلب الحوار إلى جدال عقيم، بل ينقلب إلى عائق يعيق حركة الأمة، وحجاب يحجب المسلمين بعضهم عن بعض، وقد يكون الحوار جسراً للتفاهم والتعاون والتلاقي في المساحات المشتركة السياسية والثقافية والاقتصادية لهذه الأمة، وذلك عندما يكون الحوار بالأسلوب الذي علّمنا الله تعالى بـ (التي هي أحسن)، وأقوم للعلاقة الحسنة والتفاهم بين المسلمين، يقول تعالى: ﴿وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٣٢] ويقول تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾[٣٣].

ولا سبيل لدفع (نزغ الشيطان) في العلاقة بين أطراف هذه الأمة إلا أن يخاطب بعضنا بعضاً بأحسن ما نستطيع عليه من القول.

أحاديث أهل البيت(ع) في ضرورة اللقاء والحوار

كان أهل البيت(ع) يوجهون شيعتهم وإتباعهم دائماً إلى اللقاء والاجتماع بأهل السنة، والحضور معهم في جوامعهم، واجتماعاتهم، ومجالسهم، وندواتهم، وينهونهم عن الابتعاد عنهم، ويؤكدون لهم بضرورة التواجد في الساحة الإسلامية العامة، وحضور الجمعات والجماعات، وتوحيد المواقف في الحج، ولم يردنا ـ ولا حديث واحد ـ عن انفراد أئمة أهل البيت(ع) في موقف من مواقف الحج عن الموقف العام الذي كان يحدده الحكام في تلك البرهة، لعامة المسلمين.

وكانوا لا يرضون لشيعتهم أن يعتزلوا الوسط الإسلامي العام، فهم جزء من هذه الأمة الكبيرة، واختلافهم عن أهل السنة في بعض الفروع والأصول، ومقاطعتهم للحكام الظلمة الذين كانوا يحكمون المسلمين في العصر الأموي والعباسي لم يكن يحمل معي الاعتزال عن الساحة والانقطاع عنها.

وقد كان أئمة أهل البيت(ع) يعيشون معهم وفي أوساطهم، ويجتمع إليهم المسلمون من كافة المذاهب والاتجاهات، ويحضرون مجالسهم ويأخذون منهم العلم، ولو أحصينا أهل العلم الذين أخذوا العلم عن الإمام الباقر والصادق، لوجدناهم أُمة كبيرة من أهل

العلم، وكانت مجالسهم ومحاضرهم عامرة بفقهاء المسلمين وحملة الحديث النبوي وأهل العلم من كل اتجاه ومن كل بلد... وهذه الحالة يعرفها جيداً من يعرف حديث أئمة أهل البيت(ع) وسيرتهم، وهي تعبّر عن حالة الانفتاح والتعايش المذهبي الإيجابي السليم من كل الاتجاهات والمذاهب الإسلامية. في الوقت الذي كان أهل البيت(ع) يرسمون ويوضحون لشيعتهم وللمسلمين عامة الخط الفكري الصحيح في الأُصول والفروع بوضوح وصراحة وبشكل دقيق.

وفي أحاديث أهل البيت(ع) دعوة واضحة وصريحة إلى هذا الانفتاح مع المسلمين والتعايش الإيجابي والتواصل والتعاطف والتعاون معهم، وإليك نماذج من أحاديث أهل البيت(ع) في هذا الشأن :

روى محمد بن يعقوب الكليني بسند صحيح في الكافي عن أبي أُسامة زيد الشحّام قال : قال أبو عبدالله(ع) : «أقرأ على من ترى أنه يطيعني منهم، ويأخذ بقولي السلام، أوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الأمانة وطول السجود، وحسن الجوار، فبهذا جاء محمد(صلى الله عليه وآله). وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم عليها براً أو فاجراً، وأن رسول الله(صلى الله عليه وآله) كان يأمر بأداء الخيط والمخيط.

صِلُوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم، وأدوا حقوقهم، فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه، وصدق الحديث وأدى الأمانة، وحسن خلقه مع الناس قيل : هذا جعفري، فيسُرّني ذلك ويدخل عليّ منه السرور، وقيل هذا أدب جعفر، وإذا كان على غير ذلك دخل عليّ بلاؤه وعاره، وقيل هذا أدب جعفر، والله لحدثني أبي(عليه السلام) إنّ الرجل كان يكون في القبيلة من شيعة عليّ فيكون زينها، أدّاهم للأمانة وأقضاهم للحقوق وأصدقهم للحديث، واليه وصاياهم وودائعهم، تسأل العشيرة عنه فتقول : من مثل فلان أنّه ادّانا للأمانة وأصدقنا للحديث»[٣٤].

وأيضاً بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال : قلت لأبي عبدالله الصادق(عليه السلام) كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا، وفيما بيننا وبين خلطائنا من

الناس ؟ قال : فقال(عليه السلام) «تؤدون الأمانة إليهم وتقيمون الشهادة لهم وعليهم، وتعودون مرضاهم، وتشهدون جنائزهم»[٣٥].

وأيضاً بسند صحيح عن معاوية بن وهب قال: قلت له الصادق(عليه السلام) : كيف ينبغي أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا وبين خلطائنا من الناس ومن ليسوا على أمرنا فقال : «تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم فتصنعون ما يصنعون فوالله انهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم ويؤدون الأمانة لهم»[٣٦] .

وفي رواية أُخرى للكليني في الكافي بسند صحيح عن حبيب الحنفي قال : سمعت أبا عبدالله الصادق (عليه السلام) يقول : «عليكم بالورع والاجتهاد واشهدوا الجنائز وعودوا المرضى، وأُحضروا مع قومكم مساجدهم، وأحبّوا للناس ما تحبون لأنفسكم، أما يستحي الرجل منكم أن يعرف جاره حقه ولا يعرف حقّ جاره»[٣٧].

وبسند صحيح عن مرازم قال : قال أبو عبدالله الصادق(عليه السلام) : «عليكم بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز، انه لابد لكم من الناس، أن أحداً لا يستغني عن الناس في حياته، والناس لابد لبعضهم من بعض»[٣٨].

ثالثاً: الأعمال والمشاريع المشتركة

قرأنا فيما سبق أن النقاط الثلاثة التالية من أفضل مناهج مكافحة الفتنة الطائفية.. وهذه الثلاثة هي:

١ ـ الوعي والخطاب.

٢ ـ اللقاء والحوار.

٣ ـ العمل المشترك.

وقد تحدثنا فيما مضى عن النقطة الأولى والثانية، وها نحن نتحدث إن شاء الله عن النقطة الثالثة، وهي العمل المشترك، سواءً كان العمل في المجال العملي والثقافي أم في

مساحة العمل السياسي، أم في المساحة الاقتصادية.

والتجارب العديدة التي مارسها المسلمون في الآونة الأخيرة في المشاريع الاقتصادية والفقهية تؤكد هذا المعنى.

ونظراً للتحديات العظيمة التي يواجهها المسلمون اليوم لابد من مواجهة هذه التحديات بالمشاريع الإسلامية السياسية والاقتصادية والثقافية التي يشترك فيها عامة المسلمين من كل المذاهب والشرائح الإسلامية. فلم تعد الأعمال الفردية كافية لمقابلة هذه التحديات، كما لم تعد المشاريع التي تنهض بها شرائح وأطراف من هذه الأمة كافية لمقابلة هذه التحديات، فان التحديات التي تواجهنا في ساحتنا أكبر من أن نقابلها بمثل هذه المشاريع.

إن مشاريعنا السياسية والاقتصادية والثقافية والإعلامية يجب أن تكون بحجم الأمة كلها.. عندئذ تكون يد الله مع هذه المشاريع، وعليها، إن شاء الله تعالى.

وعندئذ تكون هذه المشاريع والأعمال قادرة على مقابلة التحديات القويّة التي تواجهنا في ساحة عملنا.

جدلية الشرعية والواقع

وسوف أتحدّث عن واحدة من هذه التحديات والمشاريع السياسية التي تقابلها، إذا كانت بحجم الأمة كلها وعلى مستواها.

أمامنا قضيتان متخالفتان ومتقاطعتان، في ساحة حياتنا ويتوجب علينا أن نتعامل معها بالضرورة، وليس بوسعنا التشكيك في أي منهما، وليس بوسعنا الإعراض عن أي منها أو كليهما ومقابلته باللامبالاة.

القضية الأولى: وحدة الأمة الإسلامية

وليس بوسع أحد أن يشك في هذه الحقيقة، وقد تلوت عليكم قريباً قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾.

وهذه حقيقة من حقائق الوحي.

ووحدة الأمة بوحدة ولائها وبراءتها من غير شك ولا ترديد، وإذا تعددت الولاءات والبراءات تتعدد الأمة، ولا تبقى الأمة واحدة، كما تخبرنا بها سورة (الأنبياء) و (المؤمنون).

ولا يمكن فصل القيادة السياسية والنظام والقرار السياسي عن مسألة الولاء.

كما لا يمكن فصل التقاطعات والصراعات السياسية والعسكرية بين الأنظمة عن مسألة البراءة.

فان الولاء للقيادة السياسية الصالحة للأمة تأتي في امتداد الولاية لله ولرسوله ولأولي الأمر.. يقول تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

ووجود ولائين أو أكثر من ذلك ـ في عرض بعض ـ ينافي وحدة الأمة... فضلاً عما إذا كانت هذه الولاءات متعارضة فيما بينها، كما هو حاصل عادة في الأنظمة السياسية المتعددة الواقعة على خطوط سياسية متعددة.

فلا يمكن أن يتصّف ولي أمر المسلمين بالولاية والطاعة لمجموعة من الأمة، ولا يكون كذلك لمجموعة أخرى من أمة واحدة، وتجب على طائفة من الأمة طاعته ولا تجب طاعته على طائفة أخرى.

أما الولاءات السياسية الطولية (التي يقع بعضها في امتداد بعض) فلا تنافي وحدة الأمة مهما تعددت وكثرت.

إذن لهذه الأمة، طبقاً لهاتين الآيتين الكريمتين قيادة واحدة صالحة.. وهذه هي الحالة الشرعية التي نطلبها في نظام الحكم والقيادة السياسية للعالم الإسلامي.

هذه هي القضية الأولى (: الشرعية).

القضية الثانية: قيام أنظمة متعددة من الحكم في طول العالم الإسلامي وعرضها...

وهذه الأنظمة ـ في الأغلب ـ لا تمثّل الحالة الشرعية لأنها غير صالحة، وغير مؤتمنة على دين الناس ودنياهم، وغير منتخبة من قبل الناس، وإنما تُفرض على الناس بآليات عسكرية، أو عبر وسائل أنظمة الاستكبار العالمي... وهذه الأنظمة تفرض

طاعتها والالتزام بقراراتها على الناس بالنار والحديد والعنف.. والتغرير والتجهيل الإعلامي.

ولابد للناس من الالتزام بقرارات هذه الأنظمة: وهذا هو (الأمر الواقع) اللاشرعي.

وبين هذا (الأمر الواقع) و (الشرعية) تقاطع شديد ولكل منهما ثقافة، وسياسة، وقوانين، وأنظمة، وآليات، وقوة للتنفيذ.

هذه هي الجدلية القائمة بين (الشرعية) و (الأمر الواقع).

ما هو تكليف المسلم تجاه هاتين القضيتين (الشرعية المحظورة) و (الواقع المفروض).

(فلا يجوز) الاستسلام للأمر الواقع المفروض وإلغاء الحالة الشرعية و (لا يمكن) تجاوز الأمر الواقع المفروض بالقوة من قبل الأنظمة..

هذه الجدلية بين (ما لا يجوز) و (ما لا يمكن) جدلية قديمة في التاريخ الإسلامي.

فما هو موقف (الفقه الإسلامي) تجاه هذه الجدلية بين (ما لا يجوز) و (مالا يمكن).

منهج أهل البيت(ع) الفقهي

إن منهج أهل البيت(ع) الفقهي تجاه هذه الجدلية في الفترة الطولية التي عاشوها في العصر الأموي والعباسي، تتلخص في ثلاث نقاط:

١ ـ النهي عن إسناد هذه الأنظمة ودعمها، وتحريم (التعاون مع الظلمة)، فلا يجوز للمسلم أن يقوم بأي عمل فيه إسناد ودعم لهذه الأنظمة غير الصالحة بأي شكل، ولو كان ذلك بإعداد ليقة دواة للحاكم الظالم.. وقد وردت روايات كثيرة عن أهل البيت(ع) في هذا المعنى. (راجع أبواب حرمة التعاون مع الظلمة في مباحث المكاسب المحرمة). وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ ـ الأمر بمعايشة الواقع السياسي الاجتماعي لأن الانفصال عنه بمعنى الخروج من ساحة الحياة والانتحار السياسي والاقتصادي.

ولا مناص للمسلمين من أن ينتظم أمر معاشهم ومعادهم ضمن هذا الواقع ولا مناص لهم، من أن يعايشوا هذا الواقع لتستقيم لهم أمور معاشهم ودينهم.. حتى لو

يتطلب الأمر أن ينضمَّ المؤمنون الى مواقع المسؤولية من هذه الأنظمة الفاسدة، ولكن لا لغاية إنعاشها ودعمها، وإنما لغاية تحقيق الضمان لمعيشة المؤمنين وخدمة الناس في معايشهم ومكاسبهم. (راجع الروايات الواردة في مستثنيات التعاون مع الظلمة و أبواب التقية).

فلا يستغني الناس عن المدارس والجامعات وجهاز الشرطة والمستشفيات والمؤسسات الخدمية وغيرها وكل هذه المؤسسات مؤسسات قائمة ضمن هذه الأنظمة الفاسدة... لا حيلة للناس عنها فيجوز الدخول في هذه المؤسسات لخدمة الناس ويجوز الاستفادة من هذه المؤسسات، ومنن دون ذلك تتعطل حياة الناس، والله تعالى لا يريد تعطيل حياة الناس.

وبين الأمر الأول (المحظور) والأمر الثاني (السائغ) فرق واضح .

٣ ـ العمل على تحويل هذا الواقع الفاسد إلى نظام صالح وقيادة صالحة وقوانين وتشريعات صالحة.

وهذه النقطة الأخيرة تختلف من مجتمع إلى مجمع فقد يتم ذلك عن طريق ثورة مسلحة، وقد يكون ذلك عن طريق الترحيل الثقافي والتبليغي للناس، وقد يكون بالوسائل الديمقراطية الحديثة، التي تمكّن الأكثرية الصالحة من الوصول إلى مواقع الحكم وتغيير الحكم إلى نظام صالح وقيادة صالحة، بصورة سليمة، أو غير ذلك من الوسائل والآليات . (راجع روايات باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأبواب الجهاد)

وهذه ثلاثة مشاريع عمل إسلامية سياسية تتطلب مشاركة عامة من المسلمين، من كل المذاهب والفرق والشعوب الإسلامية التي تعاني من حكومات فاسدة.

١ ـ مقاطعة الأنظمة الفاسدة وتحريم دعمها وإسنادها ووجوب عزل هذه الأنظمة عن الأمة والتشهير بها وتسقيطها.

٢ ـ المشاركة الإيجابية في كل مسالك الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية،

والنفوذ إلى مواقع مختلفة من الحكم بهذه الذهنية ولهذه الغاية.

٣ ـ مشاريع اسلمة الأنظمة وإقامة الدولة الإسلامية على أسس شرعية وترحيل الحالة السياسية إلى قيام حكومة عالمية إسلامية صالحة، كما وعدنا الله تعالى في كتابه.. وهذه المشاريع تختلف من بلد إلى بلد ومن حالة سياسية إلى حالة أخرى، ولا تخضع لوصفة سياسية أو حركية واحدة.

المجلس الإسلامي الأعلى (البرلمان الإسلامي)

الأنظمة في العالم الإسلامي ـ في الغالب ـ غير صالحة، ولا يمكن الاعتماد عليها في تقرير الموقف الإسلامي من القضايا السياسية الكبرى في العالم الإسلامي.. والواضح أن المواقف الرسمية للأنظمة تجاه القضايا الكبرى تبقى تحت تأثير الدول الكبرى، وليس بوسع هذه الأنظمة أن تتجاوز الخطوط الحمراء التي ترسمها دول الاستكبار العالمي...

نعم هناك مساحات صفراء يتحرك عليها هؤلاء الحكام.. وقد تكون هذه الحركة مخالفة لقرارات الدول الكبرى...

أما الخطوط الحمراء، فليس بوسع هذه الأنظمة تجاوزها، مهما كان الثمن الذي تدفعها هذه الأنظمة.. مثل النفط، فليس بوسع هذه الأنظمة أن يستخدموا «النفط» في قضايا الأمة السياسية، والعكس حاصل فعلاً، فان الدول الكبرى ومجلس الأمن يستخدم العامل الاقتصادي سلاحاً قاطعاً في قراراتها السياسية، وفي عقوبة الأنظمة التي تتجاوز الخطوط الحمراء، ويحرم ذلك على انظمة العالم الإسلامي.

ومهما يكن السبب، فان الساحة الإسلامية الواسعة لا تمتلك اليوم مقومات القرار والموقف السياسي الراشد الإسلامي، إلا ما يصدر بصورة عفوية من مواقف وقراءات يتبناه جمهور المسلمين في مختلف أقاليم العالم الإسلامي، كما رأينا ذلك في التعاطف الشديد لمواقف المقاومة الإسلامية في جنوب لبنان (حزب الله) من جانب جماهير المسلمين في كل أقاليم العالم الإسلامي، وفي المهاجر الغربية، ورغم أن الأنظمة العربية ـ في الغالب ـ كانت ممتعضة عن هذه المقاومة وما سجلتها من انتصارات باهرة خلال ٣٣ يوماً إلا أن تيار التضامن والتعاطف الإسلامي مع حزب الله كان أقوى من أن تعاكسها

الأنظمة وأدواتها الإعلامية المسخرة لخدمة مواقفها السياسية... ولكن هذه الأنظمة تمكّنت أخيراً من إبراز كراهيتها لانتصار حزب الله في الاصطفاف الواسع الذي قامت به هذه الأنظمة إلى جانب فؤاد السنيورة وجعجع والحريري وجنبلاط في إفشال مشروع حكومة الوحدة الوطنية التي دعت إليها المعارضة.. وفي مقدمتهم حزب الله. ولولا التصرف العقلائي لحزب الله في هذا الموقف المعارض لاستئثار الأقلية بالحكم في لبنان، لكانت العاقبة حرباً أهلية واسعة في لبنان، إلا أن (حزب الله) آثر ممارسة الاعتراض، بصورة سلمية، حتى عندما كانت الحكومة تقابل المعارضة بالعنف.. وكفى الله اللبنانيين القتال.

ومهما يكن من أمر فلابد للساحة الإسلامية الكبرى من أدوات نابعة من عمق الساحة لتنضيج القرار السياسي الذي يهم الأمة ـ كلها ـ ولتوحيد القرار السياسي في القضايا الكبرى، وتعميمها على كل الساحة الإسلامية وتحشيد الرأي العام الإسلامي لإسناد هذه القرارات والوقوف إلى جانبها، وتفعيلها في الساحة من خلال المسيرات والاحتجاجات والهتافات والإعلاميات والآليات المشاعة التي يمتلكها الشارع للتعبير عن موقفه ورأيه واعتراضه واحتجاجه وحبه وبغضه.

ومن دون وجود مشروع سياسي ـ مثل هذا المشروع ـ يفعّل الموقف السياسي الراشد الناضج الموحد لملء الساحة، تبقى الساحة معرضة لأمواج الفتن السياسية، وضغوط وسائل الإعلام الرسمية التي تجعل من الحق باطلاً ومن الباطل حقاً، وتقرّب البعيد، وتبعّد القريب.

وتبقى الساحة الإسلامية تتخبط بين اختلاف الآراء والمواقف، والفتن، والضغوط الإعلامية.

ولكي تسلم الساحة الإسلامية الكبرى من هذا التخبّط لابد من مشروع سياسي إسلامي كبير، خارج حوزة نفوذ هذه الأنظمة تمارس هذه المسؤولية في تصحيح القرار والموقف الإسلامي وتوحيده وتعميقه وتفعيله في الساحة.

ولابد أن يمثل هذا المشروع السياسي كل الشرائح والمذاهب والأقاليم الإسلامية

تمثيلاً صادقاً حقيقياً، ليكون لقرارات هذا المشروع، النفوذ والتأثير الفعلي على كل الساحة الإسلامية.

ولنُسمَّ هذا المشروع باسم (المجلس الإسلامي الأعلى) أو (البرلمان الإسلامي) أو ما شئتم من التسميات...

ويكون هذا المجلس مركزاً للقرار الإسلامي الراشد الذي تتبناه الساحة الإسلامية كلها، في المسائل الأم الكبرى في العالم الإسلامي، مثل القضية الفلسطينية، والاحتلال الإسرائيلي لأجزاء واسعة من الأراضي الإسلامية من الأراضي السورية ومصر والأردن ولبنان، ومثل المشكلة الصومالية، وتدخل القوى المتعددة الجنسيات في دارفورد، والمشروع الإيراني النووي السلمي. واحتلال الأمريكان لأفغانستان والعراق، والموقف الأمريكي المعادي للقضية الفلسطينية، والداعم لإسرائيل، والموقف البريطاني، بل الاتحاد الأوروبي من دعم المرتد سلمان رشدي، والموقف الروسي المتعنت من الولايات الإسلامية كالشيشان، وقضية الصحراء المغربية، والاضطهاد الذي تقوم به الأنظمة تجاه أبناء الحركة الإسلامية، كما في الجزائر وتونس، وكما في العراق في عهد الطاغية، ومثل الصراع الفلسطيني ـ الفلسطيني بين حماس وفتح والدعم المتواصل الإسرائيلي والأوربي والأمريكي والعربي لفتح، وشجب الموقف السياسي لحماس وعزله عزلاً سياسياً كاملاً انسجاماً مع الموقف الإسرائيلي والأمريكي... وأمثال ذلك، ومثل انتصار حزب الله على إسرائيل، والتخريب الواسع الذي قامت به إسرائيل للبنان، انتقاماً لهزائمها في مقابلة حزب الله، وسكوت الدول الغربية ـ الأوروبية والأمريكية برمتها تجاه هذا العدوان السافر على لبنان ودعم الموقف الإسرائيلي بكل أشكال الإسناد والدعم.

... إنّ هذا المجلس يقوم بتنضيج القرار السياسي للساحة الإسلامية وتوحيده وتفعيله في الساحة الإسلامية الواسعة في هذه القضايا وأمثالها.

تساؤلات حول هذا المشروع

وقد يثير أحد حول هذا المشروع التساؤلات التالية:

١ ـ أين يمكن إقامة هذا المشروع السياسي المستقل عن الإرادة الأمريكية ـ الغربية، وأمريكا تقول اليوم للسحاب أينما تذهبين فانك تمطرين في مساحة نفوذي وسلطاني.

٢ ـ ما جدوى قرارات هذا المجلس اذا كان لا يملك آلية التنفيذ في مقابل قرارات الأنظمة التي ينفذها أصحابها بالإرهاب والإعلام.

٣ ـ وكيف يمكن عزل قرارات هذا المجلس عن تأثير ونفوذ الأنظمة ودول الاستكبار العالمي، في هذه الدنيا المتشابكة المتداخلة.

والجواب عن السؤال الأول:

إن ارض الله واسعة ونحن لدينا مناقشات جوهرية في صدقية النفوذ الأمريكي الكوني المطلق، ليس هنا مجال بسط الكلام فيها.

وعن السؤال الثاني:

أقول إن قرارات المجلس تكون مدعومة بالرأي العام الإسلامي، وسوف يكون لها دور واضح في تعديل القرارات السياسية للأنظمة إن لم تكن قادرة على إلغائها .

وعن التساؤل الثالث: لا ننفي إمكانية نفوذ الأنظمة ومن ورائها أنظمة الاستكبار العالمي إلى صلب قرارات هذا المجلس، ولكنه على كل حال إمكانية محدودة وليست مطلقة، ولا يمكن أن يحقق أي مشروع سياسي في هذه الدنيا المتداخلة المتشابكة غايتها بصورة مطلقة.

وبعد فإننا نرى أن أمثال هذه المشاريع طموحات سياسية واقعية، يمكن أن نسعى إليها وليست ضرباً من الأحلام في واقعنا السياسي المعاش.

المرجعية السياسية للعالم الإسلامي

نحن اليوم أمة فاعلة قوية على وجه الأرض. ولهذه الأمة ثقل كبير في المعادلات السياسية، وحضور واسع في القضايا السياسية ذات الشأن بالحالة الإسلامية خصوصاً، وبالحالة الكونية عموماً.

ورغم أن الأنظمة الحاكمة على العالم الإسلامي عامل مؤثر لتشتيت هذه القوة الكبرى على وجه الأرض، لكن تبقى الأمة الإسلامية التحدي الأكبر للغرب والذين يقرءون التاريخ والمستقبل من المنظّرين في الغرب يفهمون هذه الحقيقة، وينذرون أنظمة الاستكبار الغربي من هذا العملاق الذي بدأ ينهض من سباته الطويل في القرن العشرين.

وفي ضوء هذا الفهم نقول:

١ ـ إن الحقائق المتقدمة في نهضة الأمة بعرضها العريض لا يمكن أن تخفى على مراكز الرصد الاستكباري في الغرب.

٢ ـ ولابد أن تلقى هذه الأمة تحديات صعبة من ناحية الغرب لإحباط المشروع الإسلامي الكوني الكبير.

٣ ـ ولا تخصّ هذه التحديات إقليما أو قوماً و مذهباً من المذاهب وإنما تعم الأمة الإسلامية برمتها لأن هذه الأمة هي التربة الصالحة للمشروع الكوني الإسلامي الذي يخبرنا الله تعالى في كتابه: (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرض يرثها عبادي الصالحون) والذي يتنبّأ به المنظرون في الغرب .

٤ ـ إذن نحن في مواجهة صراع حضاري وعسكري وسياسي وثقافي، قاس من أقسى ما يعرفه تاريخ إنسان من الصراعات الحضارية السياسية، العسكرية، شئنا ذلك أم أبينا، والمطالبة بالمعايشة السلمية وشجب الحروب والصراعات لا يعفينا من هذه المعركة.. ولسنا نحن الذين ندفع الغرب إلى مثل هذا الصراع، وإنما العكس هو الصحيح، والغرب هو الذي يدفعنا إلى مثل هذه المعركة... فان الكيانات السياسية والعسكرية والثقافية في الغرب يرون أنهم قد وصلوا إلى نهايات التاريخ، والعاقبة التي آل إليها أمر الاتحاد السوفيتي ليس ببعيد عنهم، والقوانين والسنن التي آلت إلى سقوط الاتحاد السوفيتي هي التي تؤول بهم إلى تلك العاقبة. وهم يدافعون عن أنفسهم في معركة مصيرية بالنسبة لحضارتهم وكيانهم الاقتصادي والسياسي والعسكري، ومن الطبيعي أن يكون هذا الصراع أشرس صراع يعرفه الإنسان، لأنه صراع على الموت والحياة.

٥ ـ ومن أفدح الخطأ أن ندخل هذا الصراع من غير الإعداد المكافئ لهذه المعركة الحضارية، ومن غير الإعداد لآليات هذا الصروع.. والدخول في مثل هذه المعركة من غير الإعداد المكافئ لها يعادل الفشل والهزيمة فيها... يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[٣٩] وليست القوة كلها السلاح وإن كان السلاح من مقومات ساحة القتال إلا أن دائرة الإعداد أوسع من السلاح.

٦ ـ ومن أهم الآليات التي تعد هذه الأمة لدخول مثل هذه المعركة التي نتوقعها كل حين، بل نعايشها اليوم، دون أن ننتبه لها.. في مقدمة هذه الآليات (: المرجعية السياسية للأمة الإسلامية)... فليس من الممكن أن تدخل هذه الأمة صراعاً سياسياً وحضارياً واسعاً وتواجه تحديات كثيرة، دون أن تمتلك الأمّة (مرجعية سياسية) توحّد قرارها وموقعها وصفّها.

إن وحدة الأمة ووحدة القرار السياسي لا تتحقق إلا من خلال الآليات التي أعدّها الله تعالى لذلك، وفي مقدمة هذه الآليات المرجعية السياسية التي يسميها الفقهاء بـ (ولاية الأمر).

يقول تعالى: ﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

٧ ـ و (المجلس الإسلامي) و (المرجعية الإسلامية) مؤسستان اسلاميتان للأمة الإسلامية كلها تتكاملان، يؤدي الأولى دور الشورى وتنضيج القرار السياسي الذي تشير إليه آية الشورى ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[٤٠] وتقوم الثانية بدور (الولاية السياسية) في حياة المسلمين.. تنفيذاً لقوله تعالى:

﴿أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

في المساحة الاقتصادية

إن عملاً واسعاً يجري اليوم لإلحاق أسواق العالم الإسلامي ومصادر ثرواته الطبيعية بشبكة العولمة الاقتصادية، وهو أمر حاصل بالفعل، ولكن الحركة التي تقوم بها الأنظمة

في العالم الإسلامي هي إلحاق أسواقنا في العالم الإسلامي وثرواتنا الطبيعية بشبكة العولمة الاقتصادية بشكل كامل.. وهذا الأمر إذا تم يجعل من حركتنا الاقتصادية حركة تابعة لاقتصاد الدول الصناعية الكبرى، وتجعل من أسواقنا معرضاً ومحلاً لاستهلاك ما تنتجه المصانع في الدول الصناعية الكبرى، وتجعل من مصادرنا الطبيعة للثروة مثل النفط والكبريت والصلب والحديد والقطن وقصب السكر والمطاط والتمور مصدراً لتموين المعامل والمصانع في الغرب.

ونتحول من موقع الإنتاج والاكتفاء الاقتصادي إلى مركز لتموين المصانع في الدول الصناعية الكبرى بالمواد الخام التي تحتاجها هذه المصانع ومحلاً لاستهلاك ما تنتجه هذه المعامل.

وهذه العاقبة أسوأ عاقبة، اقتصادية للعالم الإسلامي، وتؤدي هذه التبعية الاقتصادية إلى تبعية سياسية خالصة، وانهيارات اقتصادية واسعة كما حصل لجنوب شرق آسيا قبل سنين، وتفقدنا حالة الاكتفاء الذاتي في الاقتصاد، بشكل كامل.

وكما يستخدم الغرب الآلة الصناعية والاقتصادية في تحقيق (التبعية السياسية) في العالم الإسلامي، بشكل واسع، كذلك يستخدم الغرب المقاطعة الاقتصادية والحظر الاقتصادي لإخضاع أنظمة العالم الإسلامي لإرادتها السياسية، كما حصل ذلك لإيران وليبيا وسوريا والسودان... عندما امتنعت من تنفيذ إرادتها.

وقد كان بوسع العالم الإسلامي أن يستخدم الآلة الاقتصادية، مثل تصدير النفط في تعديل بعض المواقف الغربية المتطرفة عموماً والأمريكية خصوصاً تجاه العالم الإسلامي، مثل الجنوح المتطرف إلى جانب إسرائيل، والوقوف إلى جانب إسرائيل في كل مراحل عدوانها على فلسطين ولبنان. والتشديد على إيران بسبب محاولاتها لتخصيب اليورانيوم والوصول إلى مرحلة استخدام الطاقة النووية لإنتاج الكهرباء وسائر الغايات السلمية، والسكوت عن إسرائيل ومفاعلاتها النووية وترساناتها التي تختزن ٣٠٠ رأس نووي جاهز للتفجير والعدوان، كما يقول بعض المؤسسات العسكرية.

لو أن المسلمين كانوا يستخدمون الآلة الاقتصادية في تعديل المواقف السياسية الغربية المتطرفة تجاه العالم الإسلامي لتغير وجه العلاقات الإسلامية ـ الغربية، ولم

يتمكن الغرب من أن يمارس هذا النفوذ الواسع في العالم الإسلامي، ولم يسع الغرب أن يستهتر بهذه الصورة بكل القيم الدبلوماسية والسياسية في علاقاتها بالعالم الإسلامي.

ولكن ما الحيلة إذا كان حكام العالم الإسلامي في الغالب لا يجرءون على التطوّل على الإرادة السياسية الغربية، وبشكل خاص الإرادة السياسية الأمريكية، ولا يمتلكون الشجاعة الكافية لاتخاذ أي قرار سياسي أو اقتصادي يعارض مصالح أنظمة الاستكبار العالمي، ويتجاوز الخطوط الحمراء المرسومة لهم.

إن حركة غاصبة عفوية قامت بها جماهيرنا في مقاطعة البضائع الدنمركية عندما أساءت صحيفة دانمركية إلى رسول الله(ص) وامتنعت الدانمارك من الاعتذار إلى المسلمين ومعاقبة الصحيفة كان لها تأثير كبير في تعديل موقف الحكومة الدانمركية والحكومات الاسكندنافية التي وقفت إلى جانب الدانمارك في حينه.

إن الموقف الصحيح في هذه المسألة الخطيرة هو الحضور المليوني الموحّد في الساحة، والهتاف بمقاطعه العولمة الاقتصادية الزاحفة إلى العالم الإسلامي والمطالبة باستخدام الآلة الاقتصادية في قضايانا السياسية الأُم، والمناداة بتحرير أسواقنا من سيطرة البضاعة التي تصدرها إلينا الدول الصناعية الكبرى. والدعوة إلى تحرير مصادرنا الطبيعية للثروة وإنتاجنا الزراعي والحيواني من نفوذ الدول الكبرى، والمناداة بالوصول إلى حالة الاكتفاء الذاتي، والتشهير بالأنظمة والحكام الذين يستخدمون مواقعهم في الحكم لتمكين النفوذ الاقتصادي الغربي والشرقي (الاستكباري) من أسواق ومصادرنا الطبيعة، ودعوة الجمهور إلى استخدام المقاطعة الاقتصادية عندما يتطلب الأمر، ويتقاعس الحكام ويجبنون عن اتخاذ القرار الاقتصادي المناسب.

إن الحضور الواعي القوي للأمة في الساحة الإسلامية، في كل المراكز والحواضر والعواصم الإسلامية يؤدي بالضرورة إلى تعديل قرار كثير من الأنظمة والحكام الذين يحكمون العالم الإسلامي، كما يؤدي إلى تعديل القرارات الاقتصادية والسياسية لدول الاستكبار العالمي تجاه العالم الإسلامي وتخفيف الضغوط السياسية والاقتصادية عليه.

محمد مهدي الآصفي

في ٧ رجب ١٤٢٨ هـ

الهوامش

١ – صحيح مسلم ٤: ١٨٧١ ـ ١٨٧٢ كتاب فضائل الصحابة.

٢ – صحيح البخاري ٤: ١٥٨١ ح٤٠٩٤ وصحيح مسلم ١: ٩٥ كتاب الإيمان ح١٥٥ (عدى الجملة الأخيرة).

٣ – صحيح البخاري ٤: ١٥٨١ ح ٤٠٩٤ ومسند احمد ٤: ١٠ ـ ١١.

٤ – بحار الأنوار ج٦٨ ص٢٤٢.

٥ – مشكاة المصابيح ج١٢ ـ ١٤.

٦ – المحاسن ص٢٨٥، وبحار الأنوار ج٦٨ ص٢٤٣.

٧ – الكافي ج٢ ص٢٥، وبحار الأنوار ج٦٨ ص٢٤٨.

٨ – مسند أحمد بن حنبل ج٣ ص٤٧٢.

٩ – المحاسن ٢٨٤، بحار الأنوار ج٦٨ ص٢٨٢.

١٠ – سنن الدارمي ج٢ ص٢١٨، ورواه بلفظ قريب منه عن رسول الله(ص) البخاري في ج١ ص٥٧ من الصحيح في فضل استقبال القبلة، وابو داود في السنن ج٢ ص٤١ ـ ٤٢ (باب (على ما يقاتل المشركون)، واحمد بن حنبل في المسند ج٣ ص١٩٩، وج٢ ص٤٤٥، ج٣ ص٣٣٩، وج٤ ص٨ و٩، وابن ماجة في السنن ج٢ ص١٢٨٥ و١٢٨٦، والنسائي في السنن ج٨ ص١٠٩.

١١ – بحار الأنوار ج٧٥ ص١٥٠.

١٢ – صحيح مسلم ج١ ص٦٨ ـ ٦٩.

١٣ – الحرقات (بضم المهملة والراء وقاف بعدها) من جهينة، هم بنو حميس بن عمرو بن ثعلبة بن مودوعة بن جهينة، كما في جمهرة ابن حزم ص٤٤٦.

١٤ – صحيح مسلم ج١ ص٦٧.

١٥ – روى هذه الخطبة جمع غفير من الحفاظ والمحدّثين من الفريقين ولشهرتها نعرض عن ذكر مصادر الخطبة.

١٦ – يوسف: ١٠٨.

١٧ – آل عمران: ١٠٤.

١٨ – آل عمران: ١١٠.

١٩ – التوبة: ٧١.

٢٠ – البقرة: ٢٠٨.

٢١ – بحار الأنوار ٢٧/ ٦٩ ح٧.

٢٢ – ميزان الحكمة ١/٧٦٥.

٢٣ – كنز العمال ١: ٢٠٥ ح١٠٢٥.

٢٤ – ميزان الحكمة ١: ٤٠٦.

٢٥ – نهج البلاغة: الخطبة ١٢٧.

٢٦ – مستدرك الوسائل ٦: ٤٥٠.

٢٧ – التهذيب ٣ / ٢٥، ووسائل الشيعة ٣٧٦/٥، نقلاً عن ميزان الحكمة ٤١٠/٥.

٢٨ – وسائل الشيعة ٤/٥ نقلاً عن ميزان الحكمة ٤٢٦/٥.

٢٩ – الحج: ٢٧.

٣٠ – نهج البلاغة كتاب رقم ٦٢.

٣١ – الحجرات: ١٢.

٣٢ – النحل: ١٢٥.

٣٣ – الإسراء: ٥٣.

٣٤ – وسائل الشيعة: ٣٩٨/٨، كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة الباب الأوّل، الحديث الأوّل.

٣٥ – وسائل الشيعة: ٣٩٨/٨، كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة الباب الأوّل، الحديث الثاني.

٣٦ – وسائل الشيعة: ٣٩٩/٨، كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة الباب الأوّل، الحديث الثالث .

٣٧ – وسائل الشيعة: ٣٩٩/٨، كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة الباب الأوّل، الحديث الرابع.

٣٨ – وسائل الشيعة: ٣٩٩/٨، كتاب الحجّ آداب أحكام العشرة الباب الأوّل، الحديث الخامس.

٣٩ – الأنفال: ٦٠.

٤٠ – الشورى: ٣٨.